# الفلذة الخضراء

آخر مؤلفات علامة الزمان ۞ وفهامة الأوان
رب الفضائل والعرفان ۞ أستاذ أهل التحقيق والوجدان
السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني قدس الله سره ورضي الله عنه

بتوجّهات مدير الدائرتين ، وهمة القائم في الرحبين
ونائب الاقطاب الوُرّاث ، ابناء الإمام ابي العلمين
سيدي صاحب الفضيلة الشيخ محمود بن عبد الرحمن الشقفة
حفظه الله وايد به الإسلام والمسلمين

عني بتهييئه للطبع وتنقيحه ، وأشرف على طبعه وتشرّف بتصحيحه
طفيلي مائدة الآل ، والمستشرف بأعتابهم عند نوّابهم لخدمة النِعال
أفقر الورى ، وأحقر من ترى
**عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط**
السقباني الدمشقي غفر الله له ولوالديه واشياخه والمسلمين

الطبعة الاولى سنة ١٣٨٩ هجرية

عبثاً شُغلت بهذه الأشياء إن لم تكن عن عبرة خلصاءِ

يا قلب مهلاً فالحوادث كلها عـدم يقوم وجوده بفناءِ

جلّ القديم وكل شيء هالك إلاّ د والمفتون في ظلماءِ

حُجب أُقيم على العيون شراعها والأمر منبلج لعين الرائي

أوّاه من هذا الحجاب فإنه أعمى العيون بغلظة سوداء

يا رب نوّرنا بنورك واهدنا للحق وانصرنا على الأعداء

النفس والدنيا وزمجرة الهوى اعداؤنا فالغوث للضعفاء

يا منقذاً أيوب من ضرّائه ومغيث يونس ضمن لُجج الماء

دارك كما داركت إبراهيم إذ نجيّتـه والنار باستصلاء

والْطف كلطفك بالنبي وخِله في الغار وارحم لوعة الفقراء

وانظر لنا كرماً بعين عناية نُحمى بها من طارق الأسواء

نحن الضعاف وأنت ربٌ قادر يولي الرضا ويجود بالنعماء

رحماك رحماك الإغاثة إننا في حاجة يا أرحم الرحماء

---

لسيدي المولف رضي الله عنه

اختار وضعها هنا طفيلي مائدته، وخادم نعال القائمين بروضته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أخص منهم عبده ورسوله الحبيب المصطفى ، وأبناءه الشرفا ، وأصحابه الحنفا ، ووُرّاثه الخلفا ، وأتباعهم أهل الصفا . أما بعد ، فيقول العبد المستند إلى عناية الله في كل الأطوار والدواعي ، محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي ، ستر الله منه ما شان ، وأماته اذ ينتهي الأجل على صريح الايمان ، وغفر له ولوالديه وللمسلمين ، انه البَر المعين : هذا كتاب ظريف ، وسفر لطيف ، سميته (الفلذة الخضراء) لاستجماعه من بدائع الكلم عقوداً براقة ، ونبذاً تحاكي الجريال شفّافة رقراقة ، كتبتها وأنا أسير الفراش ، قليل الإنتعاش ، حليف هموم يكاد يرجف لها

الطود العظيم ، ويرق لمـــا في رق معناها قلب الغريم ، لم أستعن بها بآلة بل كعادتي ، لم أنظر بكتاب أنقل منه ، أو أتطارح معذي رواية أروي عنه ، بل هي من محفوظاتي التي امتنّ الله عليّ باستيداعها خزانة الفؤاد ، ومن تطبيقات فكري الذي زلزله صادم السقم فارتعد وماد ، فما شوهد من الغلط في بعض الجمُـل ، فالعذر بذلك أكبر من الغلط وإن جل ، وما كان صحيحاً فمن محض عناية المعين الكريم عزوجل ، وهذا أوان الشروع ، في هذا المشروع ، وحسبي الله ولياً ونصيراً ، وكفى به بذنوب عباده خبيرا .

* * *

## ﴿ سلّم السلامة ﴾

سلم السلامة التسليم ، للفعّال القديم ، فيما جرت به المقادير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، جرت عادة الله وله القدرة القادرة ، في أمري الدنيا والآخرة ، ان من سَلّم اليه أموره عند بروز الأقدار ، يصونه كما صان نبيه العظيم ﷺ يوم الغار ، حين حماه من أشد الأعداء بأضعف الآلات أعني بيت العنكبوت، وينجيه كما نجّى عبده يونس عليه السلام اذ أخرجه من بطن الحوت ، وأن يلطف به بخفي لطفه كما امتن على عبده ورسوله عيسى عليه السلام ، إذ هجم أعداء الله عليه ، فحفه بعنايته المحضة ورفعه اليه .

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم هم تساء به صباحاً وتاتيك المسرة بالعشي

وما أجمد فكرة من هزته همته لجحود الواجب الوجود وإثبات الطبيعة ، وما سلسل الطبائع حتى رفعها إلى الأول منها ، واتخذ وجودها أشرف دليل على الصانع وأوضح ذريعة ، ولم يتفكر بلطفه ويعلم أن خفاء لطفه بعد عن فهم الحادث ، مع الأدلة الباهرة في نفس الحادث على وجوده المطلق ، ولم يقف عند تلك الأدلة فيتبصر ليسفه رأيه السقيم ببرهان تلك الأدلة القائم حكمه بكل شأن ثابت محقق ، على أن لطيفة الذوق في الفم اللطيفة الطاعمة تدرك بعد المزج ما يصل إلى الفم ، من حلو ومر ، وغير ذلك ، فوجودها قطعي ، وحقيقتها مجهولة ، لا طول لها ولا عرض ، ولا قياس ولا فرض ، وكذلك السمع في الأذنين ، وماء البصر في العينين ، والقوة اللامسة في مجمل الوجود الإنساني ، والشم في الأنف ، وإفراد كل رائحة على حدة ، حسب حكمها الكياني ، والطوارىء المعنوية التي تطرأ على الخواطر ، من فرح وكدر ، وفكرة

وعبرة ، وخاطر يسقط في الحال ، من حيث لا يُعقل مكانه على لوح الخيال ، فينطبع في الفكر ولاتشهده العين بلا مَيْن ، وأمثال ذلك من المعنويات الكثيرة ، والرقائق اللطيفة الوفيرة ، كلها موجودة غير مشهودة ، لا يدرك لها كم ولا كيف ، ولا يصل اليها بصر ولا طيف ، مُعرَّفة مُنكَّرة ، مُغيَّبة مُقرَّرة ، هي هذه ، وهي في نسخة الحدث المحاط بالعدم ، فما بالك باللطف الذي كله جلال قِدم ، فقف أيها العاقل مع هذا التقرير ، من مضمون قوله تعالى ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ) أقام بحياتك المقيَّدة الدليل على حياته المطلقة ، وبسمعك المقيَّد على سمعه المطلق ، وببصرك المقيَّد على بصره المطلق ، فكل صفاتك قيد ، وكل صفاته إطلاق ، جعل تلك القيود برهاناً على ذلك الإطلاق ، فإن تبصرت وتدبرت ، سلمت من وهدة الغي والضلالة ، ووصلت إلى الحق لامحالة ، وان ذهبت إلى سفسطة أولي الطبيعة ،

وبئست الذريعة ، فقد خضت بمهرجان الجهل القاتل ، وأهملت حكم ما قام بك عليك من الدلائل .

وفي كل شيء له آية  تدل على أنه واحد

---

فوحِّده وسَلِّم اليه ، واذكره وتوكل عليه ، واجعلك مع قدره غير نازع خلعة التَّدبُّر التي وهبها لك محاكة بنول العقل ، وأعملها مستعملاً فيها حكم العقد والحل ، فان ايدك بما خلع عليك من كسوة العقل فأنت حينئذ بتدبيره منصور ، وان غلبك سلطان قدره فانت بشأنك معذور ، ومع كل ذلك فكن رجلا لا ينفك عن نيطة التسليم قلبه ، وتدبر سر قوله تعالى ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) وانظر فيما طرأ على الكليم والخليل ، وتوثق ببرهان قول الله سبحانه ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) فحفهم اللطف وسبغ كلهم كما يسبغ

المتوضىء ، فاختالوا بخلعة نص ( فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ) وها أنا والحمد لله تعالى قد جعلت في كل اموري سُلّم سلامتي التسليم ، واتخذت ورداً لي في مهمات الأمور وصعابها: لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وتوكلت على الله وما خاب والله المتوكلون ، ونظمت بكل حرف قول: إنا لله وإنا اليه راجعون، فهو الرحمن المستعان، وعليه التكلان، ومنه القصد والمراد ، وهو المغيث لمن تجرد اليه قائلا ( وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ) والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات من الأعمال ، وله الحمد والمنة والشكر على كل حال .

* * *

## ﴿ الخفاء والظهور ﴾

ورد عن لسان الأمير سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه موقوفاً وقيل مرفوعاً : كن في بلدة كبيرة صغيراً ، ولا تكن في بلدة صغيرة كبيراً فتهلك . يعني اذا كان الأمر تحت جاري ارادتك الجزئية، وإلاَّ فاذا صرفتك الأقدار إلى ما شاءت ، فكن عندما تريد الأقدار لاعندما تريده منك التَّخيُّلات والأفكار ، وقد قيل: الظهور ، يقصم الظهور ، هذا إذا طلب بجد الإرادة الجزئية . وإلاَّ فقد قال الإمام الشهيد السعيد ، سيدنا الحسين سبط النبي المعظم ﷺ : من اعتمد على حسن اختيار الله تعالى له،لم يتمن غير ما اختاره الله له. وهذا المعنى الجليل يستند إلى ما ورد في الحديث القدسي من طريق ، وهو « أنا عند ظن عبدى بي ، إن ظن بي

خيراً فله ، وان ظن بي شراً فله » وفي الكتاب العزيز ( ما كان لهم الخيرة ) وفي كلام إمام الطائفتين ، سيدنا الجنيد رضي الله عنه إذا كان ظهورك منه فدع كلك اليه ، ولن يمسّك إلاّ الخير ، وإذا قمت لأمرٍ ما بإرادتك فاجعلها مستندة اليه ، وتوكل بعزمك فيها عليه ، وهو يكلؤك ويصونك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقد اختلف القوم في شأن المرتبتين ، فقال قوم الظهور أجل من الخفاء ، لما فيه من النفع المتعدي للأُمّة ، وقال آخرون الخفاء أجل ، إذا تحقق العارف بان النفع المتعدي لم يكمل له فيه صدور ورد من يده . وهناك فالنفع اللازم الذي يؤول إلى العبد من محض الكرم اغتنامه أولى . وهذا مذهب من اختار العزلة ، وقد قيل للامام الرفاعي رضي الله عنه ، هل العزلة خير من الجليس السّيء ، فقال ومن الجليس الخيّر . سيما في مثل هذا الزمان الذي قل فيه الصديق

وندر ، وانطبع السوء في الكثير من البشر ، وبقي الصديق الصادق على حد قول القائل :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً
لايوجدان فدع عن نفسك الطمعا[1]

---

ومما يسند إلى الإمام الكرار سيدنا علي كرم الله وجهه في تعريف الصديق قوله .

صديقك الذي بأمريك معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

وحَسُن في هذا المقام قول الإمام الكبير الرفاعي رضي الله عنه ونصه :

اصحب من الاخوان من قلبه أصفى من الياقوت والجوهر
ومن إذا سرك أودعته لم يظهر السر إلى المحشر

(١) لهذا البيت ثان وهو :
وقد تكلم قوم في وجودهما ولا أظنهما كانا ولا اجتمعا

ومن اذا أذنبت ذنباً أتى معتـذراً عنك كمستغفر
ومن إذا ما غبت عن عينه أزعجه الشوق فلم يصبر

وفي هذا المقام فصاحب الظهور إذا كان ظهوره بمحض سَوْق القدر، وكان موفَّقاً بالعناية الإلـهية لبث النفـع المتعدي، فالظهور أثوب، وإن كان أتعب، وإلا فمرتبة الخفاء هي العُليا، وطريقتها الطريقـة المثلى، سيما إذا ظهرت البـدع وكثرت الفتن، فهنالك يجب أن يكون المرء كما عرّف الحبيب الأعظم ﷺ حلساً من أحلاس بيته، وأن يتخذ له ماوى في الجبال، وغُنيمات يرعاهنّ، ويكتفي بلُقيمات يُقمن صلبه، وفي كلام سيدنا علي كرم الله وجهه، ورضي الله عنه. في زمنه الذي غص بالفتن، هذا زمن السكوت والرضا بالقوت، والقعود في البيوت والعجب العجـاب، ان الطغام في أيام الفتن بإطلاق، والكرام بِقَيد، ولعل ذلك من غبار حسد الطغام، المتوجه إلى الكرام، وقد قال القائل:

إن العرانين تلقاها مُحسَّدة ولن ترى للئام الناس حُسَّادا

وقد يُرى الأسد الغضنفر مقيَّدا ، والكلب الهزيل مطلقا ، كل ذلك لسرٍ في العالم الكياني ، يفيد انحطاط المعمَّرين عند الله تعالى ، ليجل لهم مراتبهم في الدار الباقية، قال الله تعالى ( ومن نُعَمِّره ننكسه في الخلق ). وقال الإمام الخولاني رضي الله عنه ، ما وُجد حكيم صالح في قوم إلاّ وبغوا عليه، وقال إذا رأيت العالم محبباً في قومه لا قادح له فاعلم أنه مداهن . وقال الفاروق الأعظم ، رضي الله عنه ، ما ترك الحق صاحباً لعمر . ولاغرو فأهل الحق، أنصار أهل الحق، وأهل الباطل تجتمع كلمتهم على الباطل ، ولكن على غير أُلْفة ، لأن الباطل ظلم ، والله تعالى قال ( وما للظالمين من أنصار ) فاهل الباطل رُعاع ، يقولون ويجتمعون ، غير أن قولهم لا قول ، واجتماعهم لا اجتماع ، ولابد لأقوالهم من سقوط

واجتماعهم من هبوط ، وهم غثاء كغثاء السيل ، ينحدرون مع السيل من طريق واحد ، وهو طريق السَّفه والقُبح ، ولكن على تفرقة ، وهذا من عجائب أسرار الله في الباطل وأهله ، وأما أهل الحق فانهم وان قلّوا لاتنفكُّ عصائبهم ولا تُخذل أقوالهم ، وينصر الله الحقَّ بالمحِقِّ وإن شطَّت الدار ، وبَعُدت الاقطار ، وأحسن ما يظهر به العبد ظهور يشمله الحق ، فاذا تكلم انطبع كلامه في القلوب ، وسكنت له العقول ، وارتاضت له الطباع ، والحق كمين تحت ضلوع الخاصة والعامة ، وان أنكرته ألسنة الحاسدين ، وأعرضت عنه وجوه الجاحدين ، وقد نرى المحق حيناً يغدو شهيد كلمة الحق ، ويظن الجاهل أنه انطوى ، وحقه انطمس ، فتمر الأيام وتكر الأعوام ، ويظهر حق ذلك المحق من بطن الغيب ، فتُنوِّه به الكرام ، وتنصره العقول والأفهام ، ويسند الخير اليه ، ويعوَّل في حقه الذي ظلم لأجله عليه .

وأحسن ناصر للمرء حيّاً ... وميتاً أن تساعده القلوب

اذا ظلم الزمان حليف صدق ... تقوم لنصره غيباً حروب (١)

ومن لطائف الأسرار أن بعض أهل الشؤون السماوية المختارين في حضرة القرب الربانية ، وإن طُلسِموا حال حياتهم بطلسم الخفاء ، فلهم مرتبة جمع يظهر سلطانها بعد موتهم ، ومن عُظمائهم سيدنا ومولانا الإمام الحسين السبط الشهيد ، عليه الرضوان والتحية ، فقد أراد اليزيد طمسه ، وهو حينئذ في مرتبة خفاء ، فاختار الله له الشهادة ، وبذلك سبقت الإرادة ، فاظهره الله تعالى بعد شهادته ظهوراً تحار له العقول ، وأعطاه من عنده منزلة ومقاماً تهرع لجانب جنابها القلوب والقفول ،

(١) ولهذين البيتين ثالث وجميعها للمؤلف رضي الله عنه وهو :

وتهتز الطباع له بعون ... يلبيه بكل ناحية شعوب

طفيلي مائدة الآل

فمرقده كعبة الطائفين ، وبغية العاشقين ، وغاية آمال أهل الحق واليقين . وأما اليزيد فقد طُوي عَلَمه، وزل بالمحق قدمه ، ولم يذكره بخير ذاكر ، ولم يزره إلا ليلعنه زائر ، فتدبر أيها اللبيب ، بهذا الجمع العجيب ، وخل عقلك ملتفتاً لحل هذه الطلاسم اللطيفة ، ولفهم هذه الوراثة الشريفة ، واعلم أن في حكم الورود ، بارق صدود، وقد يكون بغاية الخفاء والظهور ،والسلام عليك وعلينا ورحمة الله وبركاته .

* * *

## ﴿ الحكمة الشرعية ﴾

وقال تعالى ( يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً )وهذه الحكمة المنصوص عليها في كتاب الله عز وجل ، هي العمل بما شرع الله ورسوله ﷺ ، وبذلك الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، لأن الله جلّت قدرته ، جمع لحبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام في شريعته المباركة ، ما تفرق في شرائع اخوانه المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام ، من كل ما ينفع البشر في الدنيا ، ويكون سبب نجاحهم في العقبى ، وقد أخذ الفلاسفة الأُول للحكمة معاني مختلفة ، وفلاسفة الاسلام أيضاً ، وكل ذهب إلى رأي فيها ، وأحسن أقوالهم جمعاً للفائدة المطلوبة: الحكمة الشرعية، اذ هي أُمّ تلك الأسماء المختلفة كلها عند من يعقل ويتدبر ، نعم نرى اليوم اطلاق

اسم الحكيم لمن لم يعرف من الحكمة لا إسمها ، ولا رسمها ، وإنها تشكو إلى الله ما حلّ بها .

يزعم الحكمة قوم ما هم بالحكماء
بينهم وهي كالأر ض عن أوج السماء

ولا بدع فالحكمة قانون إلهي ، أُضمر في الكتاب العزيز ، فسّره المفسر الأعظم ، حبيب الله ﷺ ، وفي تفسيره الكريم مضمرات ، تحتاج لإلهام رباني ، ليكون المرء مُحدَّثا ، كشأن الفاروق الأعظم ، سيدنا عمر رضي الله عنه ، وبذلك نُعت على لسان المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومن فروع المحدَّثية المعنية بالحديث الشريف أيضاً الفراسة ، وقد ورد « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » والحكمة الصناعية التي ذهب اليها بعض الفلاسفة من الأوائل والأواخر ، فهي مائدة شركة يشترك فيها البر والفاجر ، والصناعية إن لم تشب بما يضر

فرداً من أفراد النوع بخديعة أو حيلة أو دسيسة ، فهي منفعة ظاهرة ، غير أنها بهذه القيود تحتاج للحكمة الشرعية، الوازعة المانعة ، عن استعمال الخديعة والحيلة ، وغير ذلك من الأوصاف الذميمة ، على ان المتصف بالحكمة الشرعية حُرٌ ، لم تسترقه نفسه، ولذلك لم تصدر الأذيّة منه لأحد ، ولم يضمر السوء لذرة كونية ، وإن أُوذي صبر ، وإن ظُلم عفا ، وان أُسيء اليه أحسن ، وقد جاء رجل إلى الصادق بن الباقر ، رضوان الله وسلامه عليهما، فقال يا ابن رسول الله سلام عليك وعلى آبائك الطاهرين ، لي ذنوب كثيرة ، وأعمالي الصالحة قليلة ، فهل يرجى لي العفو من الله تعالى ، فقال له قالها رسول الله ﷺ لمثلك ، هل عفوت عمن ظلمك ، هل أحسنت إلى من أساء اليك ، فقال الرجل بلى والله إني لفاعل ذلك أكثر أحياني ، فقال له الصادق رضي الله عنه وأنت في أمان الله . والمتصف بالحكمة يقف مقيداً مع الشرع ،

لا يستفزه شيطان بنخوة كاذبة ، فيتخطى متعدياً حدود الله بشأن ذرة من الذرات ، ولينظر فان رسول الله ﷺ لما زفَّ ابنته الطاهرة السيدة فاطمة عليها رضوان الله وسلامه ، إلى علي كرم الله وجهه ، قال عليه الصلاة والسلام ، جدع أنف الغيرة الحلال ؟ وليتدبر ، فان المتخبط في الأحكام ، في بعد سحيق عن الحكمة والإلهام ولا نجحد معرفة أرباب الحكمة الصناعية ، والرقائق الكلامية الفلسفية ، الذين هم من غير الإسلام ، بعد شهادة القرآن العظيم لهم بذلك بنص : ( يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا ) وكم في فلاسفتهم الأوائل والعصريين من رجل عاقل ، وبليغ فاضل ، وفي الآثار « الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذها » وفي خبر آخر « استعينوا على كل صناعة باهلها » وأيضاً « اقتلوا الأرض بخُبّارها » وكذا « أهل مكة أدرى بشعابها » وفي هذه الجُمل الشريفة نكات حكمية ، ولطائف علمية ، رقيقة التبيان ، دقيقة البيان ،

دلتنا على أن نأخذ الحكمة الصالحة من كل من تعرف عنده الحكمة ، ولا نتجاوز الحد المحدود بهذه النصوص ، لا بعموم ولا بخصوص . ومن فروع المحدّثية التي مرّ ذكرها ، وأُذيع بلسان الحكمة سرها ، الاكتفاء بما أفاض الله للعبد من علم صالح غير مستند على تقريظ زيد ، وشهادة عبيد ، من ميت أو حيّ ، أو بعيد دارٍ أو جار حيّ ، فان ذلك من دواعي البطالة ، وآثار الجهالة ، نعم جرت عادة الفضلاء والعلماء ، وسرت سُنّة العقلاء والنجباء ، باعطاء الحقوق لأهل المقادير من المؤلفين والمصنفين ، وأرباب العلم المحكم المتين ، بتقريظ كتبهم ، والثناء عليهم ، وعطف أنظار أهل الكمال اليهم ، لينتفع بعلمهم المبتدىء ، ويشاركهم في العمل الصالح المنتهي ، ولينجذب إلى إعزازهم الجاهل ، ويقف فيهم عند حده المتطاول ، وفي ذلك الشأن انقياد لأمر رسول الله ﷺ بنصه الشريف : « أنزلوا الناس منازلهم » ولقوله تعالى في النهي القطعي

( ولا تبخسوا الناس أشياءهم ) ولا بدع فمن خالف الله تعالى فيما نهى عنه ، وخالف رسول الله ﷺ فيما أمر به ، لم يكن من الحكمة ولا من الدين على شيء ، وبضاعة العلم تجارة صاحبها ، وماله المخبأ بجيبه ، لا تحتاج إلى شهادة أحد ، وما أحسن ما نقله الحافظ بن الحاج في أم البراهين عن الإمام الرفاعي رضي الله عنه أنه قال :

كن عالماً وارض بصف النعال لا تطلب الصدر بغير الكمال
فان تصدرت بـــلا آلة يكون ذاك الصدر صف النعال

---

وفي الحقيقة ، الاعتراف من الفضلاء بالفضل للفضلاء ، دليلٌ صريح على ثبوت فضيلة الشاهد المعترِف بشهادة ما ورد في الخبر ، عن الصادق الأبر ، وعن أصحابه الغرر ، وذلك « إنما يعرف الفضل من الناس ذووه » وكون إنما أداة حصر وتحقيق ، فمفهومها يقضي بنفي الفضل عمن لم يعرف الفضل لأهل الفضل ، فليتـدبر ، فإن المعنى ،

رشيق المبنى . وقدتتحد الآراءوتتقارب القلوب ،بمجرد النظر إلىآثار أهلالفضل ، وان بَعُدت الديار ،وتباينت الأقطار ، وما ألطف قول سيدنا الإمام الرفاعي ، رضي الله عنه ، بواقعة ونصه :

إن كانت الأجسام نائية فقلوب أهل الحق تأتلفُ
يارُب مختلفين قد جمعت قلبيهما الأقلامُ والصُحف

---

ولما كانت الحكمة الشرعية برهاناً قائماً على العقول ، ونقولها في كل مطلب أبهج الكلام وأشرف النقول ، خصصنا الكلام هنا على الحكمة الشرعيـــة ، فانها قد استجمعت مطالب الحكماء في كل وضع وضعوه ،وطريق سلكوه ، وفيها الحرية الوسيعة التي لا تضاها بغيرها ، وناهيك بوقوف الامام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه ، في مجلس قاضيه شُريح ، مع يهودي تداعى هو وإياه على درع ، فرد شريح شهادة الإمام الحسن ، وشهادة

قنبر عبد الأمير ، عليه الرضوان ، وأبقى الدرع بيد اليهودي ، فأسلم في الحال . وفي هذه القضية حكم التساوي في الحقوق بشأن فوق ما يرام ، وعلى أهل الحكمة والعرفان السلام .

الفرق في بعض ملتبسات اللغة الفصحى العربية قال الإمام أبو الأسود الدؤلي ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا
أُحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
فان يك حبهم رشداً أُصبه ولست بمخطىء إن كان غيا

وهنا قوله غِيا بكسر الغين . لا بفتحها كما يفهم من لا يفهم ، إذ الغَيّ بالفتح الباطل المحض الذي هو ضد الرشد ، بدليل قوله تعالى ( قد تبين الرُشد من الغَيّ ) والغِيُّ بالكسر كلمة عربية مهجورة ، اهملها الكثير من علماء اللغة ، وقد يجب الاستدراك عليهم بها ، ومعناها التزين

الذي يطيب للنفس فوق المعتاد ، ومصدرها غِية ، ويقال للمتزين على هذا الوجه متغاوٍ ، ولا يقال له غاوٍ فالغَيّ بالفتح من الغواية وقد برأ الله تعالى رسوله ﷺ منها ، فقال تعالى رداً على أعداء النبي عليه الصلاة والسلام: (ما ضل صاحبكم وما غَوى) والعامة تستعمل هذه الكلمة أعني التغاوي ، فتقول فلان غاوي ، تريد أنه متغاوٍ ، وهي من أغلاط العامة ، قال أخبط الشاعر الجاهلي :

تغاويت حتى أن سترت بزينتي مشيبي وأيام الشباب هي الغِيه
ليال تقضّت غير أن زمانها جنون الصِّبا من ذاك لم ندر ماهيه

---

وقال الأمير سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجه ، الشباب سكرة الغافلين ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : «أكثروا من ذكر هاذم[1] اللذات» يعني الموت ، ولا فرق في

---

(١) هاذم : قاطع

الأجل بين الشيخ الكبير ، والشاب الصغير ، قال تعالى، (إذا جاء أجلهم فلا يستاخرون ساعة ولايستقدمون)[1] وبذكر الموت تندفع سكرة الغفلة ، فيقف الكبير والصغير عند حده الذي حدّه له الله تعالى ورسوله، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد قال أرواحنا لجنابه العالي الفداء لوزيره وخليفته الفاروق الأعظم ، رضي الله عنه « كفى بالموت واعظاً يا عمر » ومتى غفل المرء عن الموت تجرأ على كل قبيحة شاباً كان أو شيخاً ، ولذا قال تعالى : (وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين ) وكل هذا من البراهين الدالة على أن أحكام الشريعة المحمدية قائمة بكل ما يدفع ضرر النوع عن النوع ، ويصلح الشأن العام ، ويقيم نظام الحرية الصحيحة ، والمساواة الصريحة ، والأُخوّة الجامعة على مراتبها المقررة شرعاً ، أوّلها الآدمية ، بدليل قوله تعالى

(١) يونس الآية ٤٩

( اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ) وثانيها الجنسية ، قال تعالى : ( وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ) وثالثها الأُبوَّة القريبة ، قال تعالى ( اشكر لي ولوالديك ) . ويندمج فيها الرحم ، قال تعالى : ( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ) ورابعها الأُخوة الدينية ، قال تعالى : ( انما المؤمنون إخوة ) ولم يأت بأداة الحصر والتحقيق لتقرير حكم الأُخوة الجامعة القاطعة في سوى الأُخوَّة الدينية ، إذ الأُخوَّة الآدمية تقضي بحفظ الحقوق والحيثيات ، بدليل الآية التي ذُكرت في محلها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » . وهذا الحديث الشريف يأمر بحفظ حيثيات الأقوام على اختلاف مذاهبهم ، ومثله « أنزلوا الناس منازلهم » وأما الأُخوة الجنسية ، فالموافقه فيها تحت دائرة التعارف ، الذي هو ضد التناكر لا غير ، والتعارف يأمر بالأُلفة والمحبة والمودة

وإرادة الخير لمن يحصل التعارف معه أولاً ، فالتعصب للجنسية والقتال على العصبية ، رَدهُ رسول الله ﷺ ، وقال « ليس منا من قاتل على العصبية » ولعن ايضاً من قاتل على العصبية ، وحينئذ فالقتال على اعلاء كلمة الله تعالى ، وهي القيام بالحق والوقوف معه ، وجعل الناس في الحقوق كلهم كاسنان المشط ، لا يتجاوز أحد منهم على الآخر ، وهذه الغاية في الحرية ، والأُخوة الآدمية ، والمساواة الحقيقية ، فليتدبر . وقد قال الفاروق الأجل، سيدنا عمر رضي الله عنه ، والله لو سقط جدي من جسر في العراق لخفت أن يسألني الله عنه ، وهذا هو العدل المحض ، والانحراف عنه ولو بذرةٍ عُدول عن الحق والصواب ، ويدخل اذ ذاك في ملتبسات اللغة قولاً ، وفي مخالفة الشرع الأطهر فعلاً ، قال تعالى ( ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ) ونفي التفاوت هنا في حكمين، الأول حكم المخلوقية ، فكل ذرة حادثة مخلوقة لا تفاوت

لها في مرتبة الخلق على الأُخرى من الذرات ، وإن علت هي وصفاً ، وسفلت تلك وصفاً ، فانها مع عُلوِّها وسموِّها مشمولة بحكم الخلق ( ألاَ له الخلق والأمر ) والثاني حكم الحقوق ، فلا تفاوت في الحقوق بين الذرات ، ولايزعم التفاوت في الحقوق سوى أولي الاستبداد ، وأرباب التجاوز والعناد ، نعم لكلٍ مقام معلوم ، فان الله تعالى قال ( ورفع بعضكم فوق بعض درجات ) وقد زاد الله تعالى البعض بسطة في العلم والجسم ، كما جاء في كتابه العزيز ، فهذا شأن لا يهمل ، وصاحبه يجب أن يعز ولا يُخذل ، ليقوم النظم الكياني ، بما نظَّمته يد القدرة بفعلها الرباني ، قال تعالى ( قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) وكيف يستوي الجاهل والعالم ، أم كيف يستوي العادل والظالم ، وقد نرى الأقطار الأوربا وية كثيرة الإنهماك بتعظيم علمائها ، وفلاسفتها ورجال الحكمة فيها ، وبها علا أمرهم ، وانتظمت شؤونهم ، وقامت بهم

الحرية الصحيحة ، والمساواة المحضة ، التي لا تشاب بغلظة ولا فظاظة ، ولا سوء حال يمس فرداً من أفراد أُممهم ، في أمصارهم وأقطارهم ، حفظاً لحقوق جنسهم ، وقياماً بالتعارف الذي هو ضد التناكر ، فهم مع بعضهم في دائرة التعارف على مودة وأُلفة ، وبهذا يقوم كلهم لصون تجارتهم ، وترقية صناعتهم ، والتعصب لكلمة جنسهم .

وكل هذا نتيجة العلم الذي أفرغه فيهم علماؤهم ، وبثه فيهم حكماؤهم ، وإلاّ فقبل انتشار العلم فيهم قد كانوا على حال صعب ، قرّره التاريخ لكل ذي وقوف ، من الوحشة وعدم الأمن ، وسطوة الاستبداد ، والنوم بالجهل تحت ذل المظلومية ، وعلى هذا فلا يقوم أمر قوم إلاّ بتعظيم العلماء والعلم ، والقيام باعلاء شأنهم ، والانقياد لأهل الفضل ، وإجلال مرتبة أرباب الكمال ، مع هجر الاستبداد وأهله ، ومحق الجور وقطع حبله ، وقد قال النبي ﷺ كما رواه عنه ابن عمه أمير المؤمنين ، علي كرم الله وجهه

ورضي عنه « لن تقدس أمّـة لايؤ خذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع » أي قبل أن يحرك قدميه ، فليعلم هذا الشأن المصان ، والعلم المحمدي الواضح البرهـان ، والله المستعان .

## ﴿ الحرف وما يتعلق به ﴾

الحرف معنى مجرد ، لا يصح مفهومه إلا اذا التصق بغيره ، مثل الألف اذا لم يلصق بالنون مثلاً ، لم تعرف الكلمة ، وبعد أن لصق بالحرف الذي يقيم في منسوج الفهم كلمة ، لا تفيد تلك الكلمة إن لم تُعطِ معنى صريحاً يستقر مفهومه لدى العقل ، فتدخل في جُمَل الكلام ، ولذا قال صاحب الآجرومية رحمه الله ، الكلام هو اللفظ المركَّب المفيد بالوضع ، وأقسامه ثلاثة : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى .

( عود ) فالحرف ، الذي هو المعنى المجرد ، قد يفيد لوحده كقولنا ، آ ، بالمد وكما في الكتاب العزيز ، قآ ، صآ ، نآ ، فهذه الحروف الشريفة ، وان كانت من أوائل السور التي أُبهمت ، ولم يعلم تفسيرها بحق سوى رسول الله ﷺ غير أنها لوحدها ذات معانٍ يستفاد

منها مفهوم لا يحتاج العقل لإلصاقها بغيرها ، فإن ، قَ ، اسم جبل ، وصَ اسم نجم ، ونَ اسم حوت ، وآ ، بالمد للبدلية ، وللقسم ، وجواب قسم ، ولهامعان أُخر ،غير أن التلفظ بهذه الحروف مع مفهومها ، إن لم يلصق بغيرها من الكلام المفيد ، لم يعط حق الفائدة المطلوبة عقلاً ، مثلاً اذا قال القائل ، آ ، ولم يقل آلله أنت فعلت كذا ، لم يأخذ العقل حظه من الفهم المقصود بمجرد قول القائل، آ ، يعني هل قصدهُ البدلية أم القسم ، أم جواب القسم ، أم غير ذلك ، وكذلك قوله ، قَ مع كونه اسم جبل ، إذا لم يقل قَ جبل عظيم ، لم يستقر الذهن لقول القائل، قَ ، وهكذا في بقية الحروف التي تفيد معنى بمجردها . والحرف سُمِّي حرفاً لأنه ينحرف مع انذلاق اللسان كيفَ لِيكَ ، والحرف الجهة الغير المستقيمة ، البعيدة عن الحق والصواب ، يدلك على ذلك قوله تعالى ، (ومن الناس من يعبد الله على حرف ) . ومنه التحريف ، ودليله

قوله تعالى : ( يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه ) ومنه الانحراف ، واليه يعني القائل :

خاطبت زيداً فانحرف هل الخطابَ ماعرف

والحرف إذا صح معناه فمبناه شريف يُنتفع به في شؤون كثيرة مادية ومعنوية ، فانه نظم اللغات الكلية ، وفي الخبر « من عرف لسان قوم أمن مكرهم » واللغة الواحدة رَجُل ، كان المرء إذا عَلِم لغتين يُعد رجلين. ومعرفة اللغات وان كان نظمها بالحروف ، والحرف قاموسها وأُسّ قاعدتها ، غير أن العلم بمعاني الشؤون أهم من معرفة اللغات المجردة ، فان الترجمة من لسان إلى لسان آخر ممكنة ، ولكن الجهل بالمعاني البديعة العلمية ، مع العلم بمجرد اللفظ من اللغة ، علة إعراض لا ينتفع معها بشيء ، قال تعالى (وأعرض عن الجاهلين) واذا انتظم العلم باللغة مع العلم المطلوب الذي تُرونقه الترجمة ، فهو الغاية ، كما وقع في زمن المغفور له ان شاء الله تعالى الخليفة المأمون

العباسي ، من ترجمة كتب الفلاسفة وتنقيتها بهمم الرجال كالشهاب بن الربيع ، وابن محمد اليزيدي ، وأبي عبد الله العمادي ، ويحيى بن أكثم ، وامثالهم رحمهم الله ، فانهم بعد ترجمة كتب الفلسفه اليونانية ، ورقائق قدمائهم ، نقحوها وأخرجوا الزيف منها ، وجعلوها عرفاناً اسلامياً ، مطابقاً للنصوص ، في العموم والخصوص ، وقام الكثير من أكابر فلاسفة الاسلام فردوا الأقوال المردودة شرعاً ، وقبلوا ما يستحسن شرعاً وينفع عقلاً وطبعاً .

( تحفة ) رأى بعض الأكابر قاضي القضاة يحيى بن أكثم شيخ الإسلام للامام المأمون العباسي ، رحمه الله بعد موته ، وهو يمشي مختالاً في الجنة ، فقال : مولاي بأي عمل أحرزت هذه النعمة ، قال يا أخي استقدمني ربي اليه ، وناقشني حتى أيست من رحمته ، ثم قال لي بعد ذلك ، بم جئتني ، قلت يا رب بحديث أخبرني عنه الزهري ، عن معمر ، عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ عن جبريل ،

عنك يا رب ، انك قلت « إني لأستحي ان أُعذب شيبة شابت في الاسلام ، وها أنا قد شبت في الاسلام وجئتك يا رب بهذا الحديث ، فقال تعالى : صدقت انت ، وصدق الزهري ، وصدق معمر ، وصدقت عائشة ، وصدق محمد ، وصدق جبريل ، وصدقتُ أنا ، وقد غفرت لك وأمر بي فأُنزلت إلى الجنة ، والحمد لله رب العالمين .

( عود ) أما الحرف فقد أعظم شأنه أُمّة من الاكابر ، منهم الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله روحه ، وعقد له كتاباً مخصوصاً ، وتغلغل في علم الحرف واستخرج منه أسراراً لطيفة ، ولحقه جماعة منهم في العصر التاسع الشيخ عبد الرحمن البسطامي ، الذي كان مقيما في بروسة ، غير انه خبط في العلم المذكور ولفّق ، وأتى بالغلط المحقق . والحقّ الذي عليه العارفون ، أن أسرار الحرف لاتنكر ، غير أنها لا تفيد كما زعم الشيخ عبد الرحمن أُموراً فوق العقل ، إذ الأسرار الكيانية كلها معقوله . ولينظر فانّ

رجلاً واسطياً سأل الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ، عن العلم . قال: تريد له معنى تطرب له. قال: نعم. قال: العين تشير إلى علم العشق الإلهي، فكن فيه كالشمعة، تحرق نفسها لنفع غيرها ، فنارها لهابة ، ودمعتها جارية، وهي صامتة . واللام يشير إلى اللوم ، فلم نفسك ولا ترضى عنها تكن عالماً بآيات الله . والميم يشير إلى علم الملكوت ، فتدبر سر قوله تعالى ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ) وهذا ما فسر بقوله ﷺ « تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في الله ، فان تفكر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة » . يعني من زوائد الاعمال الغير المفروضة ، فعلم الحرف عبارة عن فهم أسرار كيانيه ، وآثار نفسية وآفاقية ، يعرفها العارفون ويجهلها الجاهلون، وفي هذه النبذة اليسيرة دلالة على حكم الحرف من طرقه كلها ، فخذ ما صفا ودع ما كدر ، وقف أيها المحب مع العلم الصالح بقصد حسن ، تربح تجارتك ، والتوفيق من الله ، وكفى بالله وليا .

## ﴿ العرب ﴾

العرب آل اسماعيل بن ابراهيم ، عليهما أزكى الصلاة والسلام بشاهد ( ملة أبيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين ) ولفظة العرب تشتمل على كثير من المعاني الشريفة، تُحمل عليها وتضاف اليها ، يقال عرب الشيء أي انبلج ، وهذه تستدرك على صاحب القاموس ، ويقال أعرب الرجل عن الحق اذا أفصح ، أو أعرب عمّا في ضميره إذا تكلم بالصدق ( شيم الأحرار ). والإعراب بالكسر الإفصاح ، والعُرُب بضم العين والراء الحسان ، يدلك على هذا نص ( عُرُباً أترابا ) وذلك دليل على محاسن شيمهم ، وحسن أخلاقهم ، والأعراب أهل البادية الذين كان منهم الأشداء من عبدة الاصنام في الحجاز ، وقد ذمّهم الله الله تعالى فقال ( الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ) ومدح منهم

آخرين فقال تعالى : ( ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ) الآية ، وواحدهم يقال له أعرابي ، وهم الأفصاح ارباب الألسن الفصيحة ، والكلمات البليغة ، ذهب ابن رجل أعرابي إلى الحاضرة ، ليشتري شيئاً ، فقال له أبوه اشتر لنفسك وللسوق ، أي إذا بعت ما اشتريت أن لا تُغبن ، وقال بعض الأعراب لأبيه أوصني بما يُصلح شاني ، فقال : أُذكر من مضى ، واعتبر بمن خلا ، تزل عثرتك ، وتزدد بصيرتك . وقال بعض الأعراب: الذيخ في خلوته كالأسد ، والذيخ الذكر من الضباع ، يضرب لمن يدّعي منفرداً ما يعجز عنه اذا طولب في الجمع ، لتحصّنه بالخلوة لا بالقوة .

( عود ) ويقال عرّب الرجل فرسه وهيأها للحرب ، إذا قص معارفها وقصّر من شعرها ، وهذا دليل على أن الوضع الأصلي يشير إلى أن العرب ، أهل وثبة وأباة ضيم ، وقد مدح الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ فقال

( أشداء على الكفار رحماء بينهم ) وقال بعض شعراء العرب الحميريين :

ونحن من العرب الذين إذا دُعوا
خفافاً لنيل المجد أهل وثوب
وإنا لجُرّاح الخصوم اذا غدا
عدوٌ وجارى القُبح قول خطيب

---

( تحفة ) قال اعرابي للامام الحسن البصري رضي الله عنه : علمني ديناً وسُوطاً ، لا ذاهباً فروطاً ، ولا ساقطاً سقوطاً . فقال : أحسنت ياأعرابي، خير الأمور أوساطها. وهذا من كلام النبوة فليعلم . ومن كلام سيدنا علي أمير المؤمنين عليه رضوان الله تعالى وتحياته : خير الناس هذا النمط الأوسط . يعني بين المقصّر والغالي . والإعراب حسن المحاضرة عند لزوم الكلام ، وهذه من مواهب الله تعالى للعرب ، ويلطف قول ابن شمس الاسلام : خير

الفقه ما حاضرت به . أي أنفع علمك ما حضرك في وقت الحاجة اليه . ولم يجتمع حكم التعارف الواضح الذي هو ضد التناكر في شعب من الشعوب كاجتماعه في العرب فإن بطونهم وأفخاذهم وقبائلهم وشعوبهم معلومة ماسوى المستعربة ، وهم حلفاء العرب ، فألحقوا فيهم وما هم على الحقيقة منهم ، قال الله تعالى ( وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ) وقال الفاروق الأعظم ، سيدنا عمر رضي الله عنه : تعلّموا أنسابكم تصلوا ارحامكم ، ولا تكونوا كنبط السواد ، يسئل عن نسبه فيقول أنا من قرية كذا . وكان رضي الله عنه يعرف القرشي بالنظر المجرّد ويفرقه عن غيره ، وقيل للصادق بن الباقر عليهما الرضوان وأشرف التحية : ماهذه العروبة؟ قال : النظافة والطهارة من الأخلاق السيئة . قال ﷺ « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وقد فشت مكارم الأخلاق في العرب ، إلاّ أنها مشوبة بالنقص ، فأكملها بالأدب المحض رسول الله

ﷺ ، وصفى خلالهم ، وبث دين الله في العوالم منهم ، وأخذعنهم ، فهم هداة الأمم ، وقادات العرب والعجم ، وقد قال الصادق رضي الله عنه لأحد أصحابه : أحسن إلى من كان له قدمة في الأصل ، وسابقة في الفضل ، ولا يزهدنك فيه سوء الحالة منه ، وإدبار الدولة عنه ، فانك لا تخلو في اصطناعك له واحسانك اليه من نفس حرة تملك رقها ، ومكرمة حسنة توفي حقها ، وأحسن إلى من تملكه يحسن اليك من يملكك ، وقس سهوه فى معصيتك بعمدك في معصيته ، وفقره إلى رحمتك بفقرك إلى رحمته ، واعلم أن اتم النصيحة الإشارة بالصلح ، والتباعد عن الأذى والحقد والغيظ . وقد رأى العرب ، ان العاقل من يسوس نفسه قبل جنده ، ويقهر هواه قبل ضده ، وإلاّ فاذا اتبع الهوى ، وأخذ بغاية النفس فقد هوى ، وضل وغوى ، وزلّ عن العروبة التي هي لباب طهارة الأخلاق ، وتزكية الشيم . وفي قوله تعالى

بشأن كلامه القديم ( أنزلناه قرآناً عربياً ) اشارة لجمع هذه اللغة التي هي ناطقة هذا الجنس العربي كل خير ، وتنزيهها عن كل سوء ، ولهذا قال المصطفى ﷺ آمراً « أحبوا العرب لأني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة في الجنة عربي » وفي خبر آخر « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » كل ذلك لما انطوى عليه الجنس من الشيم الكريمة ، والمعاني الضخمة ، والأخلاق الشريفة ، والفصاحة الوافرة ، والبلاغة الباهرة ، وقد نزلت الحكمة على ألسنتهم ، وقامت المفاخر بشعوبهم ، وانتسجت خوارق العادات من الهمم العاليات والاطوار الشريفات ، بالكثير من رجالهم ، ولا يضرهم حسد حاسدهم ، وجحد جاحدهم ، فان شأنهم أعظم من أن يشار اليه ، أو يُنبَّه عليه ، ولا بدع فالحق أقوى ظهير ، والباطل أضعف نصير وقد يجب على كل فرد من الملة الإسلامية حب العرب ، حباً للمصطفى ﷺ وأن يجب التخلق باخلاقهم ،

وأن لا يزهد بهم لما يراه من بعض الأخلاط الذين اندمجوا في العرب وليسوا منهم ، بل يترتب عليه أن يكون عالماً بمجرياتهم ، وأصولهم وفروعهم ومزاياهم وشيمهم وهممهم ويشاكلهم ان لم يكن منهم بأطوارهم ومكارم أخلاقهم وجميل صفاتهم ، فان حسن التشاكل ، يولد حسن التواصل ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وكيف لا يتشبه العاقل بقوم عماد مجدهم رسول الله ﷺ ، وهنا في مقام الجمع الأتم ، قال عليه الصلاة والسلام « أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب » وذلك ليعلم أنه المربي الأعظم لجميع البشر ، وفي علي ما يقضي له بالسيادة على العرب من الأصالة والشجاعة والعفو والهمم ، وضخامة المجد وكرم الأخلاق . ومن كلام الإمام الرضا عليه الرضوان: ذل العرب بثلاث ، بالانحراف عن الشرع ، وبإهمال الآل وبالتقاعد وهناً عن شيم اسلافهم . والنبي ﷺ قال « إذا ذل العرب ذل الاسلام » وقال سيدنا علي الرضا المشار اليه ،

رضوان الله عليه : لم يكن في الأحرار من العرب حرّة تحت قِرّة . أي لا يضمر كريمهم غيظاً وحقداً ويظهر مخالصة ، والحرة ماخوذة من الحرارة ، وهي العطش الوافر ، والقر البرد .

( تحفة ) قال المأمون الخليفة العباسي الجليل رحمه الله ، للامام سيدنا علي الرضا ، رضي الله عنه ، ماذا يقول ابن رسول ﷺ إذا ادّعى المشاكلة معه بقايا الآل قال : اعفني يا أمير المؤمنين . قال :لا بد أن تقول شيئاً . قال أقول :

لئن فاخرتنامن قريش عصابة بمطخدود أو بطول أصابع
متى ما تداعينا القضاء قضى لنا عليهم كما نبغي نداء الصوامع

---

فقال المأمون صدقت والله ، وإن الأمر كذلك . ومن الدواهي في الاسلام ان يذل العرب بلا سبب .

(جرى الوادي فطمّ على القرى)، أي جرى سيل الوادي فطمّ القرى الذي هو مجرى الماء وجمعه أقرية وقريان، وعلى من صلة المعنى، أي أتى على القرى فدفنه، وطاش السيل، يُضرب هذا المثل عند تجاوز الشر حده. وقد نرى العرب تحب بقية الاجناس، ولحظهم ما لهم هذه المقابلة من الاجناس السائرة على الغالب. ولطيف ما يروى عن الإمام ابن عباس، رضي الله عنهما، قال لما ذرأ الله صنوف العالم صفّهم في عالم الذر صفوفا ثلاثة، فجاء من الصفوف الثلاثة، وجه رجل مقابلا لوجه رجل آخر، ووجه رجل لظهر رجل، وظهر رجل لظهر رجل، قال ابن عباس رضي الله عنهما، فلما برزت الذرات الى عالم الكيان، فالوجه الذي جاء مقابلا لوجه الرجل الآخر يتحابان في الدنيا، والذي جاء الوجه للظهر الواحد محب والآخر مبغض، والذي جاء الظهر للظهر كلاهما مبغض للآخر، فكأن صف العرب جاء وجهه

مقابلا لظهور الكثير من الأجناس والصفوف، وقدنرى ان الكثير من الاجناس يطوفون في بلاد العرب ، ولم ير أحدهم إلا الحُب والشفقة والاحسان ، حتى يرجع مملوء الصاع،شكل جيران كعب بن مامة العربي النجيب فانه كان اذا جاوره رجل مات وداه، وإن هلك له بعيراً وشاة أخلف عليه،فجاءه ابو رواء الشاعر الشهير مجاوراً، فكان كعب يفعل به ذلك ، فضُرب به المثل في حسن الجوار ، وقال قيس بن زهير يشير إلى كعب وحسن سيرته :

اطوف ما أطوف ثم آوي إلى جار كجار ابي رواء

---

وقد قال رسول الله ﷺ « الجار ثم الدار والرفيق ثم الطريق » أي إذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها ،وإذا أردت السير فاحتط بالرفيق الطيب ، وأقبح ما تراه العين شقشقة لسانية ، تعطي حلاوة

قولية ، وتحتها مرارة فعلية ، وهذا لا يكون من الحُر ، فإن الحُر لا يؤذي الذَّر ، وقد قال المصطفى ﷺ بما يفسر هذا وهو صاحب جوامع الكلم « العلم هدنة لا على دخن » يعني احتمال أذى وإظهار صفاء ، والهدنة اللين والسكون ، ومنه قيل للمصالحة المهادنة ، والدخن تغير الطعام بما يصيبه من الدخان ، فاستعير الدخن لفساد الضمائر والنيات ، وهذا مما يجب أن لا يكون في الاسلام خاصة ، ولا في الآدميين عامة ، وهو مما ينافي حقوق الإنسانية ، ويهدم نظام الآدمية ، وأكثر الناس حفظاً لحقوق الوداد العرب ، الذين عُرفت شعوبهم وقبائلهم.

ورحم الله الشيخ أبا الفتح البستي الفيلسوف الاسلامي الكامل فقد قال :

إذا مَرَّ بي يوم ولم أتخذ يداً ولم أستفد علماً فما هو من عمري

هذا ما خطر لي الآن بشؤون العرب وحالهم ، وماهم عليه من معارضة الزمن عكس صدقهم ووفاقهم وحبهم للأجناس السائرة ، ولولا أني مريض في زمن مريض لكتبت في هذا المقام ، ما تهش له الأفهام ، وتهتز له الأحلام ، ولكني أقول قول البستي رحمه الله تعالى :

إذا أحسست في لفظي فتوراً وخطي والبلاغة والبيان
فلا ترتب بفهمي إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان

ومع هذا البيان ، وواضح هذا التبيان ، فالعرب فضلهم أشهر من أن يذكر ، وأبلج من أن يقرر ، دوخوا الأجيال ، ونشروا على رايات مجدهم معنى ( همم الرجال تقلع الجبال ) وقبل تمدن البلاد الغربية ، فقد رفعوا جدران المدنية ، وبثوا العلوم والفنون ، وقرت ببدائع حكمهم وعدالتهم من صنوف الأمم العيون ، أي علم ما هم

في الملل اساسه ، وأي فنّ ما هم لامعته ونبراسه ، مع ظرافة في الطباع ، ومتانـــة في الأوضاع ، وصحة في الأحكام ، وإيجاز محض في الكلام. طلب الخليفة هارون الرشيد يوماً ولده المأمون ليلا ، على غير المعتاد ، فجاء لابساً لامة حربه وبيده الورق والدواة . فقال : يا غلام كيف تأتيني بهذه الهيأة . قال : يا أبتاه طلبتني ليلاً ، على غير المعتاد متعجلاً ، فعرفت أن هذا الطلب لا بد وأن يكون لأحد شيئين إما لكتابةٍ وإما لسيفٍ ، واستعجالاً على ما يسرك اتيت بالقلم والسيف . فبش في وجهه وهش له ، وأخبره أن وزيره نعمان واليه في البصرة ، قد أدّبه وهذّبه – وأطال في تعريف أمره – ثم انه ولاّه البصرة فانحرف عن مراضيه ، وهناك أطال الكلام أيضاً على انحرافه ، وحيث أن يريد البصرة يسير في ذلك الوقت ، فأمره أن يوبخه ويعرّفه عزله وسرعة قدومه ، موضحاً كل الذي ذكره له . فخرج إلى غرفه أُخرى وكتب

سطراً وأتى به اليه . فقال : قد كدت أن أراك مخطئاً يا غلام . قال : فليتفضل أمير المؤمنين بقراءة مرسومه ، فقرأه فوجده قد كتب ( من خليفة الزمان إلى عامله نعمان ، أحببناك فنصبناك ، واختبرناك فعزلناك ، يدك في الكتاب ، ورجلك في الركاب ، والسلام ) .

أقول والكلام على فضل العرب كالكلام على النَّيِّرين ، وكالتقرير على توالي الجديدين .

قوم تناسق في العُلى أنسابهم رغم المواربوالحسودعقودا
وإذا هم اجتذبوا أعنة خيلهم جعلوا قريب الغالبين بعيداً

وعلى كل فلا عصبية عند أهل الايمان مع حكم النخوة ، والنص انما المؤمنون إخوة ، والله المعين ، وهنا :

## ﴿ خاتمة ﴾

لهذه الجملة المباركة كخاتم جوهر ، أو كنسيم روض أزهر ، تُعطِّر أردان العرب ، وتقضي لهم من حقهم الثابت بما وجب ، لا يخفى أني لم أتكلم على فروعهم وشعوب اصولهم وأنساب قبائلهم ، لكثرتها ولكون كتابي هذا مختصراً لم يكفل هذا المطلب ، فانه مطلب جليل ، ومقصد جميل ، وقد أفرد له النسابون كتباً تضمنت اللازم من هذا الباب ، وناهيك منهم بأوحد المتأخرين في هذا المقام ،صاحب سبائك الذهب في انساب العرب ، الفاضل السويدي البغدادي رحمه الله ، فإنه لم يُبق في القوس منزعاً ، وانتدب بعض المتأخرين ،وقد ذكر أُصولهم وفروعهم ، وتعرَّض غيرهم من جحاجحة النَّسَّابة للإطالة في هذا الباب ، وما هذا موضعها ، غير

اننا نقول : إن هذه الأُمة النجيبة العربية ، أجلّ الأُمم قِدماً في كل مزية تذكر ، وأثبتهم قَدماً في كل خلة تُمدح وتُشكر ، وأولهم العرب العاربة ، ويقال العرباء ، ومنهم عاد وثمود وطسم ، وجرهم وعبيل وجديس ، وعبد ضخم وحضورا والسلفات ، ومجتمع حضرموت ، سكنوا بابل ، ثم كثر عَددهم وعُددهم ، فشبّوا إلى جزيرة العرب ، وبادوا وكانهم ما كانوا ، بعد دُوَل عالية ، ومُلك كبير ، وشان ضخم وباس وفير ، ويقال لطبقاتهم البائدة ، وقد تلاهم المستعربة ، والاستعراب هنا على ثلاثة طُرُق ، استعراب بالاصل ، وهو عبارة عن تجديد شان العرب الأُول الذين تقدم ذكرهم ، وأول هذه الطبقة القحطانيون ، وهم من ولد اسماعيل عليه السلام ، وهم وبنو عدنان ينتهون إلى أصل واحد ، وقد يجمعون ذوائب العرب ، ومنهم الملوك والحكماء والعلماء ، ومن أشد ملوكهم يعرب بن قحطان ، فهو أول من حُيّي

بتحية الملك من قومه، ولشانه وشؤون أولاده ، تفاصيل حكاها المؤرخون ، ومنهم أعني بني يعرب ملوك حِمير ويقال لهم التبابعة ، وقد أخافوا الأقطار ، وملكوا الأمصار، وكان مقرّ سرير مُلكهم صنعاء ومأرب، وقد بلغ ملكهم إلى المغرب والهند فليتدبر ، أقول والمستعربة باللغة فهم أهل طريق ثان ، والمستعربة بالمحالفة ، وهم أُولوا الطريق الثالث ، فاذا سُئل الرجل عن نسبه وألحقه بالمستعربة أعني الطبقة الأُولى من الثلاثة التي نبهنا عليها، فهو مستعرب عربي مجدد لشرف قديمه ، وإلا فهو مستعرب ، إما بلغته ، وإما بمحالفته ، وحكمه حكم العرب، ومن العرب الطبقة التي يقال لها التابعة ، ورجع الأمر بعد هذه التفرقة إلى الجامع الأعظم ، سيد العرب والعجم ﷺ فأعز الله به قريشاً وبطونها ، وأجلّ الله بظل قدرة سلطانه المحمدي أمينها ومأمونها، وبطون

قريش معلومة ، وبفخامة المجد والشرف موسومة ،وقد أكرم الله نبيه المصطفى ﷺ بالقرآن ، وأنزله على قلبه عربياً ، وفي هذا الشان تكرمة خاصة للعرب ، ودليل على إحاطتهم في العلوم ، واستجماعهم للمنطوق والمفهوم إذ مَن لم يفهم دقائق القرآن ومعانيه ، وخوافي مضمراته ومبانيه ، فما هو من العلم بشيء ولا على شيء .

## ﴿ تحفة لطيفة ﴾

جاء رجل إلى نافع القارىء فقال : في كتاب الله ( يرسل الرياح بُشْراً بين يدي رحمته)[1] فهل من وجه صحيح آخر تعتد به لغة العرب. فقال: نعم، أنا أقرأها بالباء ، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو نُشراً ، وابن عامر نُشْرا للخفة من الضم على أنها جمع نَشُورٍ ، نحو زبورٍ وزُبُرٍ ، وزُبُرٍ ، وصبورٍ وصُبُرٍ وصُبُرٍ ، وجاء جمع ناشرٍ ، كنازلٍ ونُزُلٍ ،

(١) الأعراف الآية ٥٧ وأولها : وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته .

وحمزة والكسائي نَشْراً ، على أنه مصدر نشر ينشر ونصبه على انه مفعول مطلق ، لأن يرسل الرياح في معنى ينشر نشرا ، وحال أي ناشرةً كما تقول أتاني ركضاً أي راكضاً ، أو ذات نشرٍ ، وعاصم قرأها بُشْراً بالباء بدلاً عن النون وسكون الشين تخفيفاً من الضَّمة ، لأن الأصل بُشُراً وهو جمع بشير ، مثل قَليب وقُلُب ، وشاهده قوله تعالى أرسلَ الرِّياحَ مبشراتٍ ، قلت وقد يجيء على بُشْرَى نحو حُبلى ، أي ذات بشارة ، وبَشْراً ، بفتح الباء وسكون الشين ، وهو مصدر بَشرَ ، يقال بشرته بَشْراً ، ويُقرأ شاذاً على هذين اللفظين لكونهما في كلام العرب ، ويقرب منهما يا بشرايَ هذا غلام ، والبُشْرى من البِشْر شيء تهش له طباع البَشَر ، من الأخبار المسرة ، التي تفعل في كونية المرء بمعناها فعل المادة ، وفي الخبر «بشِّروا ولا تُنفِّروا» ، والبِشْر بكسر الباء

وسكون الشين، و وَفْدٌ شرقيٌّ كان ياتي للأُمراء والعظماء بالبشائر ،فأُطلق عليه هذا ، وقال الشرف المُنْبِجي[1]

وما ان جئتكم إلاّ كبشر تطيب به السمارة والمقام
وأقبح مايرى العقلاء معنى إذا ما ضُمِّن الهجر الكلام

---

فتدبر أيّها اللبيب لغة العرب ، وافهم انبلاج أنوارها ورقيق أسرارها ، وكن عربياً محضاً ، أو استعرب باللغة والمحالفة، حُباً بالنبي ﷺ وإياك والازدلاف إلى العصبية، ففي الحقوق الآدميون كلهم واحد ، وفي الدين فالمؤمنون إخوة ، والجنسية للتعارف وعدم التناكر ، فاحفظ هذه القاعدة ، ولا تكن فظاً في جنسيتك غليظ القلب ، وقد خوطب الحبيب الأعظم ﷺ ( ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ) وقد بعثه الله رحمة للعالمين،

---

(١) مَنْبِج : بناها كسرى وسماها منبه على وزن مجلس

وجاء حريصاً على المؤمنين ، بل هو بهم رؤوف رحيم ، كل ذلك أوضحه لنا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورأيت لشيخنا الإمام الرواس قدس سره ، في بعض مكتوباتـــه مستدركاً على بعض اللغويين ما نصه ،العِرْبَةُ التأسيس المتين للمجدالمفصح بظاهره عن حاله ، بحيث لا يحتاج رب العِربة أن يقرر عن مجده بشيء مّا ، وهذا شأن العرب العاربة ، وإن بغى بعضهم على شرائع الله فبادوا ، غير أن لوازم المجد كانت عندهم على الغالب محفوظة ، فهم من المؤسسين للمجد العربي ، وما نفع ذلك لنقصانه بمخالفة كتب الله وانبيائه ، حتى جاء المكمل الأعظم ﷺ صاحب برهان ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ) فأيّد الله به العوالم ، وبوُرّاثه من آله وأصحابه العرب ،وتمت كلمة الله ،والحمد لله رب العالمين.

## ﴿ القاء النظر على ديباجة الكيان المطلق ﴾

إلقاء النظر على ديباجة الكيان المطلق للتحقق بأن الجهل هو أصل والعلم فرع ، وبعد حصول العلم فالإجلال للعلم هو الأليق ، قال تعالى : ( وعلّم آدم الأسماء كلها ) ولا بدع ، فهو قبل العلم بالأسماء قد كان جاهلاً بها ، وقال لحبيبه إقرأ . قال: ما أنا بقارىء . وكذلك فقبل أن أقرأه أي علّمه كان يجهل ما لم يعلم ، ولذلك قال سبحانه ( علّم الإنسان ما لم يعلم ) وقد قال النقاش ، الإشارة بالإنسان إلى الكامل من نوعه ، وهو رسول الله ﷺ . وقد جاء في الخضر عليه السلام ( وعلّمناه من لدُنّا عِلما ) وبعد أن علّم حبيبه ﷺ قال له ( ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ) الآية ، فامتن عليه بالعلم ، وإنه لأعظم مِنّة ، فإذا ألقى العاقل اللبيب النظر وهلةً على ديباجة الكيان المطلق ، لم ير

فيها اصلاً سوى الجهل المطلق أولاً، ينبجس له بإعلام الله جلَّت قدرته العلم بالأشياء شيئاً فشيئاً ، على قدر قابليته واستعداد فطرته، ونور عقله ، إذ الجهل كطلسم ليل، والعلم كمشرق نهار ،فاذا سطع للعاقل نور العلم، انكشف عنه دُجى الجهل ، فكان عالماً بنسبة ما يكشف له ، وقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام « العلم بالتعلم والحلم بالتحلم » ، وقال « العلماء ورثة الانبياء » وفي الكتاب العزيز ( وأعرض عن الجاهلين ) أي الذين لا يطلبون العلم ، ويجهلون مقادير أهله ، وجاء عن سيدنا كليم الله ونجيّه موسى عليـــه الصلاة والسلام : تبكي السماء والارض على عالم بين جهال . وينسب للامير سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ابوهمُ آدم والأُمّ حواء

فان يكن لهمُ في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء

ماالفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاّء
ففز بعلم تعش حياً به ابداً فالناس موتى وأهل العلم أحياء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

وما إنزال الكتب السماوية ، وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإفاضة نور الولاية في قلوب العارفين، إلاّ لإزالة الجهل ، وبث نور العلم في الأُمم ، وأجلّ العلوم أولاً العلم بالله تعالى ، ولذلك قد جاء عن الحبيب العظيم ، عليه أكمل الصلاة وأجلّ التسليم والتكريم « كل يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى خالقي فلا بارك الله لي في ذلك اليوم » وفي الكتاب العزيز ( وقل رب زدني علما ) والجهل عمى ، والعلم إبصار ، وقد كان الناس كلهم في عمى ، حتى جاء رسول الله ﷺ فأزال بالعلم النيّر ظلمة عمى الجهل ، فكان أول ما أفرغه من علم

السماء في الأُمة دفع الظلم ، وإقامة دعائم العدل ، والوقوف مع الحق أين كان ، بحيث أنه لا تاخذه في الله لومة لائم ، وعلى ذلك درج آله وأصحابه وأتباعه ، ونـوّابه وأشياعه عليه وعليهم جميعاً من رب الأنام ، أفضل الصلاة والسلام ولا يكون الوقوف مع الحق بحق ، إلاّ بحصول العلم الأحق ، اذ الجاهل وإن كان عاقلاً لبيباً ، لابد وأن يميل الى أحد الطرفين و كلاهما مذموم ، وفي الكتاب العزيز ( أعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ) جاء ذلك على لسان الكليم ، سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، ولم يعبث عظماء كل وقت وعامته بالانبياء ، ويتصدّ جبابرتهم لِسَـوْق جُهّالهم لإيذائهم ، إلاّ لداهية الجهل المطلسم ، الممتد شراعه على عقولهم ، والعياذ بالله ، وذلك لعدم الفقه الديني ، وللبعد عن العلم بالله ، قال المصطفى ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وما الفقه في الدين عبارة عن علم حكم يُقضى به ، انما هو العلم بالحكم والحكمة ،

وهناك يكون قد جمع بين اللفظ والمعنى ، وابتعد بعلمه عن الشر ، واندمج له الخير ، ووقف مع الحق وقوف الأنبياء ، بحكم الوراثة الكاملة ، على أن القاعدة المرعية ان الوارث له ما للمورِّث فيما له وفيما عليه ، ولينظر كيف عدا النمرود بجهله على الخليل عليه الصلاة والسلام ، وكيف عدا فرعون على الكليم ، موسى عليه الصلاة والسلام ، وكيف فعل صاحب مصر بيوسف الصديق ، الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام ، وكيف تهجَّم اليهود وعَدَوْا على روح الله عيسى الأمين ، عليه الصلاة والسلام ، وكيف انتهى أمر اليزيد مع الامام السعيد الشهيد ، سيدنا الحسين ، سبط النبي ﷺ . والقصص المذكورة مشهورة ، لا تحتاج البيان ولا الايضاح ، لأنها مستغنية عن الإفصاح ، وكل تهجُّم أولئك من الجهل بالله وآياته ، وشريف كلماته ، ويُحق الله الحق ، وهو عون كل مُحقّ ، والعاقبة للمتقين.

وهذا الجهل وإن كان للعلم اصلاً ، إلاّ أنه غيره ، وماهو إلاّ كالشوك الذي ينبت عنه الورد ، فإذا عرّفته قلت ضد العلم ، وهناك يكمل التعريف ، وبينه وبين العلم فروق ، غير أنه أصل له ، يتبع بالعلم الصالح ليزول ، كما فعل سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، بتتبعه أفول الشمس والقمر والنجوم ، حتى وصل إلى العلم الحق ، الذي استودعه الله في زوايا قلبه الكريم ، فاندفع الجهل بالعلم وأيّده الله بمعرفته ، وأكرمه بآياته ، ولن يشرق طالع النهار إلاّ بعد طمطام الليل ، وبضدها تنكشف الاشياء ، وعلى هذا فالجهل يعزب (١) بعد العلم ، ولكن يُشترط أن يكون العلم إلـهياً ، يدل على حق ، فلا تكون غايته كبراً أو ضلالاً ، أو سفسطة تُبرز محالاً ، إذ العلم الشرعي الشريف، يفتق رتق الجهل بميزان الحكمة،

(١) يعزب : يبعد ويغيب .

وينظم حال الأُمة ، ويصلح شان العبد مع الله والخلق ، وإلاّ فالجاحد الذي لا يرتبط بحقيقة علم ، إذا بلغ جهله العلم ، قال ( ياليتني كنت ترابا) وهذا علم يبرزه له الجهل، في محل لاينفع معه اعتناق اليقين ، من ذلك العلم ، ومثل ذلك الجاهل عكس العالم الإلـهي الذي جهل الحقيقة ثم انجلت له ، فكان انجلاؤها له فوزاً عظيماً ، كالقائل ( ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ) وأمّ الجهل الغفلة ، وما أعذب قول سيدنا الامام الرفاعي ، رضي الله عنه :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
ما دون دائرة الرحى حصن لمن يتحصن

---

فاذا صرف العاقل شاغل الغفلة بالتبصر فيما استودعه الله لُبّه من الحكمة والعقل ، بلغ حينئذ بنور العلم محو

الجهل ، وعُدّ فيمن يعرفون ( قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) وكيف يستوون ، وبهذا بلاغ للموقنين ، والله لأهل الحق نعم المعين وصلى الله وسلم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه والتابعين ، إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين ، تم .

• • •

وللمؤلف يتحدث بنعمة الله ، عن وارد روحي من امر الله :

دع النُّكْرَ[1] يا ايها المنكِرُ ... فباعك عن شأونا يقصُرُ

وخَلِّكَ من طيش هذا الغرو ... ر فذي المستعارات تُستحقرُ

تعاليت بالمال عن ضِلَّة ... وقد ذلَّ بالمال من يُنصرُ

ورحت بوقتك مستكبراً ... وربيَ من كل ذا اكبر

تأوَّد فإني ورثت الرسو ... ل فمن علمه حظيَ الأوفر

ولي نسبة تنتهي للبتو ... ل من الشمس في ظُهرها أظهر

وجدي الرفاعي شيخ الوجو ... د ابو اليدغوث الورى الأكبر

وفخري بصيَّاد زُهر القلو ... ب كضوء الضُّحى نوره الأزهر

وشيخيَ مهدي أهل الوحا ... هزبر الوغى الأشعث الأغبر

هو الغوث حيرة شوس الرجا ... ل وإنّ الحقائق لا تُنكر

---

(١) النُّكْر : المنكر والامر الشديد القبيح

ابو الخارقات سجلّ الغيو ب عميد صدور الحمى الأظهر
وَطَوْرُ أبي بين أهل القلو ب بسامي المفاخر قد يُذكر
ابو البركات الطويل النجا د وفير الندى الأجود الأغير
عظيم خلال بأهل الكما ل وَيَعْظُمُ من جدّه حيدر
وإني بحمد المعين الكري م يحق لي الفخر إذ افخر
ورثت التواضع من سادةٍ مناقبهم نفحها أعطر
وحبُّ الدنانير إن مادنا لكفي بقاع الهدى يُبذر
وما شانَ قلبيَ حقدٌ ولا على احقر الخلق يستكبر
وحبي لطه وأولاده وأصحابه دربيَ الأنور
وحفظ العهود وصدق الكلا م طريقي ويعثر من يمكُر
وألتذ بالعفو عمن اسا ء وإني على خزيه أقدر
ويُجبر قلبي وَجامُ القلو ب إذا مسّه الكسر لا يُجبر
وأقبل عذر مسيءٍ بغى وإن كان للبغي لا يُعذر
وأفزع للحق عن غيرةٍ وأنصرُهُ حين لا يُنصر

وما خُنت لا والعُلى ذمّة ... وعني الخيانة لا تصدر
وإني على رغم أهل العنا ... د أمين وحاشايَ لا أغْدُر
ولم أرَ نفسي على عُزوتي ... وفي عصرنا يُهمل الأفْقر
وسِرّي مع الله في خلوتي ... بِطيّ التذلل لا يُنشر
وفي جلوتي لم اكن جافياً ... يطيش بأحلامه المظهر
ووردي الخشوع بِذرّ الدمو ... ع لعلّ ذنوبي به تُغفر
ولست حريصاً على الفانيا ... ت وما الحرص خلّة من يُقبر
ونفعي أراه لكل الأنا ... م كطور النبيّ فلا يقصُر
ولم أك فظاً غليظاً ولا ... لفردٍ من الخلق أستصغر
وإن ما كرهتُ كرهتُ الفعا ... ل أجل تلك تُكره أو تُشكر
وأبذل جُهديَ للمكرما ... ت وما القصد أني بها أُذكر
وقد أكره المنّ لكن يقا ... ل يشاع الجميل إذا يُكفر
ونثريَ في سبكه لؤلؤ ... ونظميَ في سلكه الجوهر
وإن قمت أخطُب في محفل ... يتيه افتخاراً بيَ المنبر

فان راح يغبطني ألْكَنٌ ـ صغيرُ المناقب ـ قد يُعذر
فذي سيرتي وهي فضل الكريـ ـم وأشكر ربي وأستغفر
وأختم نظمي بزاكي الصلا ة على من له الحوض والكوثر
وآلٍ وصحبٍ نجوم الهدى ومَن للمزايا همُ المصدر
ويشمل عطر السلام الإما مَ الرفاعيَّ فهو الفتى الأشهر
مقبِّل كف النبيّ العظيـ ـم وكُبّار أهل الوحا حُضّر
ففيهم متى استصغر الحاسدو ن مقامي بسمك العُلى يكبر

وما ألطف قول المحب الصادق[1]:

احيا طريق الرُّشد سعي أبي الهدى

إذ ليس للانسان إلا ماسعى

(١) اظن أن فضيلة الشيخ عيسى البيانوني الناسخ لهذا الكتاب ـ رحمه الله ـ يعني نفسه بقوله المحب الصادق ولكن اتى بصيغة المجهول فراراً من الدعوى وتزكية النفس والثناء عليها فتكون الأبيات له وهو ايضاً الذي اختار القصيدة التي مرّت للسيد المؤلف ومشهور عنه حبه للسيد محمد ابي الهدى ولجميع آل البيت السادة المطهّرين رضي الله عنه وعنهم طفيليّ مائدة الآل

عميت عيون معاصريه فلم يروا
أنواره في الكون إلاَّ مَنْ وعى
وكذاك نور الشمس أعيا من به
رمد وذو النظر السليم تطَلَّعا

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد واسع الآلاء، تمت كتابة الفلذة الخضراء - وهي آخر مؤلفات أوحد الفضلاء ، ومفرد النبلاء ، وغرة النجباء ،وبهجة السادة الأصفياء ، وواسطة عقد الأولياء وخاتمة كُمَّل الأُدباء،السيد محمد ابي الهدى الصيادي الرفاعي الرافع للمجد أرفع لواء ،الشريف الحسيني الكريم الأُمهات والآباء ، أفاض الله على ضريحه الأعطر فيوض الرضوان والنعماء ، وحشرنا في معيته المباركة تحت لواء جده شفيع الشفعاء - بقلم خادم نعال الصوفية الصافين والعلماء

المحمديين عيسى البيانوني مدرس الأخلاق في المدارس العلمية ومدرس النساء ، بمدينة حلب المحمية الشهباء ، في ٥ شعبان سنة ١٣٤٧ من هجرة رسول الرسل ونبي الأنبياء، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين بالاقتداء، ما أسفر الصبح وأضاء ، صلاة وسلاما يدومان مدى الزمان بلا انقطاع ولا انتهاء .

## ﴿ أسوة حسنة ﴾

يقول محققه الناشر طفيلي مائدة الآل، والمستشرف بأعتابهم عند نوابهم لخدمة النعال، أفقر الورى، وأحقر من ترى: قد وصلتني هذه النسخة الخطية من هذا الكتاب عن يد الأخ الكريم الصادق المحب المخلص صاحب الفضيلة السيد الشيخ محمد الحربلي الصيادي الرفاعي نسباً وخرقة، الحلبي وطناً ومسكناً فجزاه الله والناسخ الأول عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وحشرنا جميعاً تحت لواء سيد الرسل والأنبياء، وخير أهل الأرض والسماء ﷺ وعلى آله السادة الشرفاء، وأصحابه القادة العظماء.

أقول: قد رأيت من الحكمة وكمال الفائدة إظهار نصيحة المؤلف ـ رضي الله عنه ـ وتحمله ليكون فيه لمن بعده أسوة مباشرة حسنة عن جده الرسول الأعظم

ﷺ وذلك ضمن قصيدته التي تلي هذه الكلمة ، فترجم لها بقوله رضي الله عنه ونفعنا بمحبته وعلومه :

وقلت وقد أصَمَّ الأسماع تقوُّلات الملحدين، وبعض الأغيار من الغربيين في المسلمين ما يُظهر واقع الحال ، ويُكذب ما افتروا به من المحال ، ولله عاقبة الأُمور :

قوم تعالوا بسوء الخلق والأدب
وفتية صدّرتهم همّة الذهبِ
كيداً لقد لعبوا بالدين فانخفضت
احكامه حين نالوا شامخ الرُّتَبِ
لها بعضهم قال ذكر الحشر ملعبة
ودوّنته لنا الجُهّال في الكُتُبِ
وبعضهم قال بل هذي الطبيعة قد
قضت وأمضت وهذا أعجب العجب
وقال حزب بإثباتِ الحلول على
تسلسلٍ ثم ساوى الماء بالخشب

وعصبة حكمت بالدور فهو إذن

بزعمهم ذاهب في حال منقلب

وكلهم بسمات المسلمين وفي

حقيقة الأمر هم للدين كالنُّوَبِ

هدّوا منار نظام الشرع فانطمست

نجومه وهي عند الله لم تغب

والخَطْب قد جلّ منهم في البلاد وقد

عمّ المصاب وعزّ النفع بالخُطب

تفلسفوا بعقول كلها غلط

بحت سقيم وقاسوا الرأس بالذنب

والجهل اعيا الورى عن فتق رتقهم

واستهدف الدين بين الجدّ واللعب

فإن تكن صاح للإسلام معتصباً

فاصبر إذن لسهام الطعن والكذب

وإن تكن ناصحاً للدين صر هدفاً
للنائبات وللأخطار والكُرَب
كانما المسلم المأمون منهجه
اخو الخيانة يُعْدِ الغير بالجرب
تؤيِّد الملحد المرتد سيرتـــه
والمسلم الحق مردود بـلا سبب
والخيب من أرض باريز طويل يدٍ
والمقت للمسلم التركي والعربي
وإن أتى الصبح من برلين ذو عدم
يُمسي المسا وهو محشوٌ من الذهب
والانكليزيّ ربّ الدار صاحبها
وصاحب الدار مناخارس التُرُب
ولابن باصيل قصر بالنُضار زها
وابن الكرام يصُرُّ الأهل في العُلَب
قد راح في حنق هذا الزمان على
عصابة الدين من عُجم ومن عرب

كأننا لشؤون الدهر ملعبـــة
وعُمْرنا وصفاء العيش في حرب

تدعو الشهامة والإيمان يمنعها
حليفها وتقول الموت فاقترب

المسلمون لخلق الله منفعـــة
ولكن الحق في طيٍّ من الحُجُب

لو أنصف الناس أعطوا المسلمين يداً
وأيَّدوهم بقول غير مضطرب

لكنَّها سِمة الإنصاف قد فُقدت
إلاّ قليلا وداء الحِقد كالكَلَب

ويلاه من سفه الأيام قد فتكت
بربِّ مجدٍ وأعلت فاقد الحسب

تطيب للحُـرِّ بالإيمـان عيشته
زُهـداً ولولاه لا والله لم تطب

كان الفراغ من تحقيقه وتنقيحه ، والإشراف على طبعه وتصحيحه في شهر ربيع الثـــاني من سنة ١٣٨٩ هجرية وبنفس الوقت نحن سائرون ـ ولله الحمد والشكر ـ في طبع الديوان المسمى ( معراج القلوب ، إلى حضرات الغيوب ) أسال الله الكريم القادر المعين ، أن يتمم بخير ويجعل النجاح والصواب حليفاً لنا ولجميع المسلمين ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد الواسطة العظمى التي تصدر عنها جميع الإمدادات ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وسادة السادات ، وعلى اصحابه الكرام أهل الهمم العاليات ، عدد ذرّات جميع الكائنات ، وملأ الفراغ الذي لا يعلمه سوى بارىء المخلوقات . آمين

طفيلي مائدة الآل
المستشرف بأعتابهم عند نوّابهم لخدمة النعال
افقر الورى ، وأحقر من ترى